القصة العربية في مرآة فخري ابي السعود

حسين يوسف حسين
كلية الآداب – جامعة الموصل

قبية توفيق اليوزبكي
كلية الاداب – جامعة الموصل

مقدمة :

لعل كثيراً من القراء يسأل : من فخري ابو السعود ؟

فنقول : انه اديب مصري مر كالشهاب في الحياة الادبية المعاصرة ، (١٩١١ – ١٩٤٠) ، وقد انتهى نهاية مأساوية بعد ان انتج شعراً باذخاً وادباً نقدياً مرموقاً . وعى فيه الثقافتين العربية والانكليزية ، ونشر مقالاته النقدية في المجلات المصرية التي كانت تصدر في العقد الرابع من هذا القرن كالثقافة والرسالة والهلال ، وقد اتسعت اطروحتنا التي ننشر منها هذا المبحث، وهو ثاني مباحث فصلها الثاني (*) لدراسة تحليلية لكل كتاباته التي صور بها الأدب العربي نشأة وتطوراً واغراضاً وطوابع فنية ، والقصة فيه شيء من ذلك وهي عنده أحدث صور الادب ظهوراً في الحياة الادبية عند العرب على جذور من حكايات واساطير ومدركات عقلية ساعدت على نشأتها وتطورها قبل انقطاعها في اول الطريق ، حتى استعادها العصر الحديث بطوابعها الفنية الجديدة .

(*) مبحث مستل من رسالة اعدتها الطالبة قبية توفيق اليوزبكي بعنوان :
(صورة الادب العربي في مرآة فخري ابي السعود) باشراف الدكتور حسين يوسف حسين وقدمتها الى قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الموصل سنة ١٩٩١.

وهي عند ابي السعود احدث صور الأدب ظهوراً (١) .وهي كما وصفها بعبارته : «ضرب من الأدب حديث عظيم القيمة .. مرن أرحب صدراً للنزعة العلمية من الشعر وغيره ، لأنها تجمع مزايا النثر كالرحب والدقة والاستقصاء لشتى الأوصاف والتفصيلات التي لا يتسع لها الشعر . إلى مزايا الشعر كالخيال والعاطفة ... فاتسعت القصة الحديثة للشائق الممتع من الأوصاف الطبيعية وحياة المجتمع ودخائل النفس» (٢) .

أمّا فن القصة فهو اقدم الأشكال الأدبية ؛ فحب الحكاية وتأليفها والاصاخة اليها — على حد قوله — من اعمق الميول الانسانية الطبعية تأصلاً ، فما ميل الانسان إلى تتبع ورواية كل ما تترى امام عينيه من المشاهدات او حوادث الحياة او بعض مظاهرها وظروفها كما رآها او تخيلها ؛ الاّ ليشبع بها حوافز او غرائز الاستطلاع والخيال من نفسه ؛ واليها وألى بداهة كل صديقين تلاقيا بعد طول غياب ؛ وبهش اليها الأطفال والانسان في عهد طفولته التاريخية ؛ ولطبيعة نشأة تلك الجماعات الممعنة في القدم كالطفل قليلة الادراك لكنه الأشياء والاحداث واتصال المسببات بالأسباب ، سريعة الانقياد إلى عواطفها وأوهامها ومخاوفها ؛ ما لبث ان زكت بينها شتى الأساطير والخرافات التي غذاها الخيال ليفسر بها قوى الطبيعة وليمجد الأسلاف وليدعم كيان المجتمع انذاك ؛ ورويت عن الآلهة والملوك والأبطال والقبائل حكايات تعج بالخوارق والعظائم والمحالات والمناجآت والمخاطرات والمصادفات غير المحتملة التي هي جماع الأدب والعلم والفنون القليلة والديانة والتقاليد والثقافة العامة بالخلق والطبيعة والتاريخ ، متمثلة في خرافات قدماء مصر

(١) م/٥٢ –الثقافة–١٧/١٠٦ ، م/٥٣–الرسالة–١٠٩٢/٥٢ ، م/٥٥–الرسالة–٦٥١/١٩٨.
(٢) م/٥٢ –الثقافة– ١٧/١٠٦ ، م/٥٥ –الرسالة– ٦٥٢/١٩٨ .

التي دارت موضوعاتها حول الآلهة والفراعنة ووادیهم ونهرهم ، وفي اساطير اليونان والرومان التي تعلقت باعمال الآلهة وحروبها وحبها وغضبها كما كانت للبابليين ايضاً عجائب وغرائب وحكايات عن مخيف المخلوقات من الحيوان والأطيار فقد توهموا بوجود وحش يخرج الماء من فيه فيغمر السهل والجبل ، ومن الكائنات الأسطورية التي تصورها العرب في خرافاتهم الغول والعنقاء والرخ (١) .

وبناء على هذا يبدو لنا انّ القصص الحكائية الأولى الموصوفة بأنها اساطير كانت ذات طوابع خرافية «هي — كما قال ابو السعود — الاعتقاد بالمستحيل عقلاً» (٢) . لأنها لا تكون «إلاّ حديث خرافة إذا قسناها بقوانين العقل» (٣).

فلا غرو أنْ يميل اليها الانسان البدائي بخياله ومخاوفه وأوهامه وعواطفه، وقد «اسدلت عليه الطبيعة القاسية استارها الحالكة وملأت عالمه بالطلاسم المحيرة» (٤) . فلجأ إلى الأسطورة بوصفها سلوكاً رمزياً يواجه به المظاهر الكونية لتطويعها وفك ما يدور في عالمها من الألغاز والأسرار ، ليمتلك من ثم تصوراً مقبولاً وواضحاً للحياة ؛ فبدت الأسطورة — كما قال الدكتور عزالدين اسماعيل — وكأنها «نظمت شتيت الحياة ... وحددت للانسان

---

(١) م/٣١ —الرسالة— ١٧٤/١٩٧٠، م/٣٣ —الرسالة ٧٧٢/٢٠١ ، م /٤٥ —الرسالة — ١٩٤ /٤٥٨ ، م/٥٢—الثقافة— ١٧/١٠٦ .

(٢) م/٣١ —الرسالة— ١٧٤/١٧٩٠ .

(٣) شكري محمد عياد ، البطل في الأدب والأساطير /٨٢ .
ولقد ألمح بعض النقاد إلى أن الأصل الأول للأساطير مأخوذ عن الأغريق وتعني قصة خرافية ، الى أن أصبحت كلمة الميثولوجيا تعنى بهما معاً. في هذا ينظر: محمود سليم الحوت في طريق الميثولوجيا عند العرب /١٦ ، ١٧ ومنظر زكي المحاسني — ، أساطير ملهمة /٧ ، أحمد أمين ، فجر الاسلام ٤٨/١ ، ٤٩ ، صموئيل نوح كريمر ، أساطير العالم القديم/٧ .

(٤) يوسف أمين ، الحكاية والانسان /٢٩ .

وضعه . ورأيت كل صدع كان بينه وبين نفسه ، او بينه وبين مجتمعه (١) : لمجيئها استجابة لعاطفة الانسان ، لا لتفسيره العقلاني لمظاهر الكون (٢) : وهذا هو ما نستشفه من كلام ابي السعود في التاريخ لنشأة القصص الأسطوري والخرافي ، ومصداق هذا أنّ ما نراه في النسيج القصصي للأسطورة لايمكننا من إبعاد انماطها عن العمليات العقلية تماماً ، ولكن حدود الجانب العقلي فيها يبدو واهياً او محدوداً ينسحب المجال لسيادة العنصر الانفعالي لتنصح عن نوازع الانسان وأوهامه في تفسير الطبيعة ؛ لأنّ الانسان — كما يرى البعض — على اي مستوى كان من الحضارة لا يمكن أنْ يعيش في عالم من دون أنْ يحاول فهمه ؛ مما يحتم عليه اللجوء إلى وضع تصورات ومقولات فكرية (٣) : يمكن أنْ تعد وجهاً من وجوه موقفه الخاص من الحياة ، ومنها القصة الأسطورية أو الخرافة .

ولا يقف ابو السعود عند حد الاعتقاد العام المشاع بأنّ الأسطورة قصص خيالي وأوهام وضعها الانسان لتفسير وجود الأشياء والظواهر الطبيعية حسب — كما اسلفنا — بل رآها لا تقل عن حوادث التاريخ في صدق تصويرها لأحوال المجتمع الذي ولّدها والبيئة التي انتجتها (٤) ، وعلى هذا اصبح الأسطوري عنده — كما تمثله رتشاردز وكولردج ويونغ وبوكاشيو وآخرون — قائماً على الحقيقة او مجسداً لها ، بوصفه تجربة وجودية عاناها الانسان البدائي .

---

(١) عزالدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر رقضاياه وظواهره المعنوية والفنية /٢٢٩ .
(٢) أحمد شمس الدين الحجاجي ، الوظيفة بين الأسطورة والمسرح ١٩٣٣—١٩٧٠م ، ٢/٣٨٢ ؛ وينظر : أحمد كمال زكي ، الأساطير دراسة حضارية مقارنة /٤٥ .
(٣) آرنست كاسيرر ، الدولة والأسطورة /٣١ .
(٤) م/٣١ —الرسالة— ١٧٩٠/١٧٤ .

ثم عرضها في لبوس فني من الإدراك الرمزي لتلك الحقائق (١) ، لا تختلف في وظيفتها عن وظيفة الأخبار التاريخية ، بيد انها لا تنافس تلك الأخبار في حقائقها بل تكون رافدة لها (٢) . ويرجع ابو السعود إلى موقع الأسطورة في الأدب العربي القديم ، ليشير إلى أنّ اتساع المدارك العقلية للعرب أدخل القصص في شعرهم ونثرهم (٣) . وتمثل الحكايات او القصص العربية شرعة الانسان البدائي في التفكير وحدود الفكر الذي ربط بينه وبين موجودات الحياة وظواهرها الطبيعية ، فابتدأت كغيرها من القصص في العالم في أحضان الأساطير والخرافات التي آمنتاحتها العرب كما يقول ابو السعود من حياة البادية ، وما اوحته إلى النفوس من الرهبة والبأس بالفلوات والحزون والسباع والأنواء ، ومما حيك من التصورات الخارقة عن الآلهة والأبطال والملوك وغابر الدول والجن والغيلان والسعالي والعنقاء والعدائين الذين يسبقون الظباء ، وحديدي النظر الذين يرون القماد والمغير من رأس اميال ، كزرقاء اليمامة ، ومن الأخبار التي حيكت حول بعض شذاذ العرب الخارجين على اعراف القبيلة والمجتمع ومن بينهم تأبط شراً والسليك بن السلكة واشباههما ، وبعض القصص التي وردت في كتب الأدب عن مصرع احد اقيال اليمن على يد اخيه الطامع في العرش ، واستشارة هذا للعرافين قبل الاقدام على القتل ، والخدع الحربية التي لجأ اليها ابن الملك ، في أنّ يستعير كل مقاتل شجرة اقتلعها في طريقه حتى بدا جيشه وكأنه غابة تسير ، وهي حكاية اعتمد في نسجها على عجائب

---

(١) ك ك . رائفين ، الأسطورة/٢٨ ، وينظر : خليل أحمد خليل ، مضمون الأسطورة في الفكر العربي/١١ ؛ أحمد كمال زكي ، الأساطير ١٢٣ ، ستانلي هايمن ، النقد الأدبي الحديث ٢٠٩/٢ ، مجلة المكشوف ، أثر القصة في تربية الشعب ، محمود تيمور ، ع٣٦١ ، السنة العاشرة ، ١٩٤٤ م ، ص٢٧ .

(٢) صالح بن حمادي ، دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية/٤٣ ، وينظر : أوستن وارين ورينيه ويليك ، نظرية الأدب/٣٤٦ .

(٣) م/٥٢ -الرسالة- ١٧/١٠٦ .

السحر والتنبؤ والغيب ، وقد روى فيها شعر لشاعر يدعى ذو رعين (١) ، منه قوله :

فإنْ تَكُ حميرُ غدرتْ وخانَتْ فمعذرةُ الآلهِ لذي رُعَيْن (٢)

وهذه القصص الأسطورية او الخرافية التي حاكتها العرب كان منشأ بعضها شعرياً ، والعلم بالأسطورة — كما نعلم — رافد يثري حركة فهم الشعر ، لأنها حصيلة من حصائل المعارف الانسانية ، فعلى الباحث الذي يود أنْ يسهل عليه فهم بعض الأشعار في إطارها الأسطوري او الخرافي السالفة الذكر الظفر بتلك الأساطير والعمل على التعمق فيها معرفة وتفسيراً (٣) .

وتنبه ابو السعود إلى أنّ اكثر تلك الخرافات على ما بها من اوهام ومبالغات ، تحوي كثيراً من «صفات الجمال ومظاهر الروعة ، ودلائل العظمة وأحاديث البطولة والمخاطرة التي يغرم بها الطبع الانساني . وصور الفضائل والرذائل التي يرتاح إلى رؤيتها مصورة معروضة .. وانّ استعارة مشاهد تلك الخرافات ووقائعها وأسمائها في الوصف يكسبه التشبيه قوة ووضوحاً (٤)؛ ومن اجودها من الأمثلة الدالة عنده على الاقتران الجيد للخرافة بالتشبيه الرائق القوي الواضح ، قول امرىء القيس (٥) :

أيقتلني : والمشرفيّ مضاجعي ومسنونةٌ زُرْقُ كأنياب أغوال؟ (٦)

وقد نال هذا الضرب من القول استحسانه فتمنّى لو اكثر الشعراء — على حد قوله — من الطرق على وتيرته (٧) .

---

(١) م/٣١ —الرسالة— ١٧٩٠/١٧٤ .
(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ١٥١/١ .
(٣) مصطفى ناصف ، دراسة في الأدب العربي /٢٠٧ ، ينظر : نبيلة ابراهيم، الأسطورة/٧٩.
(٤) م/٣١ —الرسالة— ١٧٩١/١٧٤ .
(٥) م.ق.ن والصفحة .
(٦) ينظر : ديوان امرى القيس / ١٤٢ .
(٧) م/٣١ —الرسالة— ١٧٩١/١٧٤ .

ومن تمثلنا ومعرفتنا لنمطية الموضوعات التي كانت مطروقة آنذاك ينجاب لنا سر الالتباث والتداخل بين القصص والأخبار والأيام والأساطير والخرافات في أدب ذلك العصر شعره ونثره . فقد حوى القصص كالشعر أخبار العرب ومشهور حوادثها وأيامها وأخبار ارتحالها واستقرارها . وكل ما يصور لنا طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعصبية آنذاك ، ويأتينا مختلطاً بثقافة العرب ودينهم ، لذا يمكن انْ يكون السبيل إلى دراسة الأسطورة لديهم تناول « كل ما سطر عن الجاهليين تأريخاً كان او ديناً» (١) .

ويشير أبو السعود إلى أنّ الأجيال المتعاقبة قد تناقلت ذلك بالزيادة والتهويل والتغيير والتبديل ليناسب حوادثها الطارئة ومشاهدها . وقد تخلف من ذلك الكثير بعد ذهاب الجاهلية وظلّ ملتاثاً بالأدب والتاريخ يظهر فيما شحنت به الآثار في هذين العلمين . ككتب الجاحظ والأصمعي والطبري والأصبهاني وغيرهم من الكتاب والمؤرخين على السواء . ومن أمثلة ما تناوله القصاص من النوادر الجديدة ما حاكوه عن أعلام الحب والحرب ، كعنترة والمهلهل وعمر بن ابي ربيعة وابي نواس ، ومن بعض ذلك القصص المحكم ما سيق للوعظ والاعتبار كالذي نسب إلى لقمان . ومنها ما أُجري على السنة الحيوان مما بسط فيه الحكماء لأبنائهم ثمار معارفهم وكمنت في ثناياه نفحات الحكمة والحض على حسن التعامل والدعوة إلى الفضيلة وما غدا مثلا يضرب ، وكان تلفيق الأقصوصات القصيرة التي ترفع إلى عصر ما قبل الاسلام وتنسب اليه قد بلغ حداً من الشرح المقصود المعبّر عن ارومة تلك الأخبار والأمثال والحكم (٢) . ولهذا ظلّت اشباه تلك القصص المتعلقة بالطير والحيوان والجان

---

(١) محمد عبدالمعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب /٤١ .

(٢) م/٥٥ -الرسالة- ١٩٨-٦٥٣ ، م/٣٠ -الرسالة ١٠١٣/٢٠٧، م/١ -الهلال-٩١٥/٧.

مما أسفر عنه أدب الجاهلية يحوي شتى الخوارق وغرائب الأوصاف (١) ، ويرمز إلى ما كانوا يرومون من سيادة القيم الاخلاقية لأخذ العبرة او لشرح علة او لبيان غاية مما غدا مثلاً او حكمة في بابه وفي مضربه (٢) .

وقد جاء في القرآن الكريم الكثير من القصص الشائق عن أخبار الأمم الغابرة والنُذُر الأولى ، كقصص يوسف ومريم ونوح ؛ وما فتأت السور المحتوية عليها اقرب سور القرآن — كما قال ابو السعود — إلى نفوس العامة والخاصة (٣) .

ولا غرابة في هذا لأنّ هذا الفن — كما اسلفنا — من اكثر ميول الانسان الطبعية التصاقاً به ، واكثرها نفاذاً إلى قلبه واختلاباً للبّه . ولهذا كان لابد للقرآن وهو يسعى لانتزاع عقائد العرب القديمة وتقاليدهم الدينية والحياتية الخاطئة ، من أنْ تكون فيه بسطة من هذا النوع الذي يحكي أخبار الأمم الغابرة ترغيباً وترهيباً وعظة منسجمة مع رسالته السماوية التي جاءت هدى ورحمة للعالمين .

وحين ترد الإشارة إلى الأمثال في سياق الكلام على الحكاية العربية القديمة ، فقد أُجريت تلك الأمثال بشكلها الحكائي على السنة الحيوان ومنها ما استرعى انتباه العرب في احواله ومسعاته كقصة الثيران الثلاثة والرسالة البليغة عن النمل المنسوبتين إلى الامام علي (رضي الله عنه) (٤) وذلك قبل أنْ يدخل الفن القصصي في عهد انتشار الكتابة وذيوع الطور الثاني من النثر الفني ؛ وقد

(١) ينظر : نهاد توفيق نعمة ، الجن في الأدب العربي /٩١ ، ١٢٤ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٣٧٨/٨ .
(٢) عبدالحليم محمود ، القصة العربية في الجاهلية /٢٠٤ ، ٢٠٥ ، أنس داود ، الأسطورة في الشعر العربي الحديث /١٣٠ ، ١٣١ .
(٣) م/٥٥ —الرسالة— ٦٥٣/١٩٨ .
(٤) م/٤٥ —الرسالة— ٤٥٨/١٩٤ .

استخدم هذا النمط لغاية معينة كغاية ابن المقفع في بث الحكمة بحكايات كليلة ودمنة التي أجراها على ألسنة الحيوان ، وغاية محاورات اخوان الصفا في رسائلهم ، ورسالة حي بن يقظان مما اتخذ وسيلة لعرض الآراء والقضايا الفلسفية ؛ بيد أنّ أبا السعود قد اكد أن الخصائص الفنية في تلك القصص وأمثالها كانت واهية ضعيفة البناء (١) . وما عتم أنْ ظهرت بوادر القصة الفنية بعد أنْ تمهدت بعض أسباب دخول هذا النثر الفني طوره الثالث بتحضر الأمة وتثقفها ورواج سوق أدبها في القرن الرابع الهجري .

وقد عنيت هذه القصة بتحليل الشخصية واهتمت بالبناء الفني والفكرة الموحدة الجامعة في عملين مهمين من الأعمال القصصية الخيالية ، هما مقامات بديع الزمان الهمداني ، ورسالة الغفران للمعري (٢) ، وقد قرأ أبو السعود المقامات والرسالة قراءة تحليلية ، واعطى لكل منهما تقويماً نقدياً في مكانها من حركة القص الأدبي عند العرب ؛ وقد بدا له أنّ مكان البديع الهمداني في هذا المجال كمكان أديسون وستيل (٣) في الانكليزية ، وفي المقامات علل تستوجب منحها الاستحقاق المستأهل لمضارعتها أسمى انواع القصص بما فيها من :

- نفاذ البصيرة ، و
- بداعة الوصف ، و
- براعة الفكاهة ، و
- تنوع الموضوعات ؛ فضلا عن :

---

(١) م/٤٥ –الرسالة ١٩٤/٤٥٨ ، م/٥٥ –الرسالة ١٩٨/٦٥٣ .
(٢) م/٣٣ –الرسالة ٢٠١/٧٧٤ ، م/٥٥ –الرسالة– ١٩٨/٦٥٤ .
(٣) هما كاتبا القرن الثامن عشر الميلادي : جوزيف أديسون(١٦٧٢–١٧١٩)وريتشارد ستيل (١٦٧٢–١٧٢٩) . ينظر : Adventures in English Literature, p. 286.

— شخصية أبي الفتح الاسكندري المخترعة التي تعيّن من مراحل تطور القصة العربية نفس المرحلة التي تعينها شخصية سير رودج ديكنزي من تطور القصة الانية . وبهذا رجّح عند ابي السعود أنّ البديع الهمداني هو المؤلف العربي الوحيد الذي اخترع شخصية شائقة واضحة من صنع الخيال. (١)

ولم يقف الأمر في نظره عند هذا الحد بل رأى في المقامات أيضاً :

— مزية الأسلوب ، و

— وما أمدته من جمال ، و

— وما حقّقته من ذيوع ونجاح (٢) .

وجاء هذا الحكم بعد ثلاث سنوات من حكم سابق له على المقامات : لم ير فيها عملاً يمكن أنْ يدخل في حساب مقاييس النص الفني المبتكر الجديد : لأنها بدت له آنذاك «هزيلة عجفاء تدعو إلى السخرية .. قليلة الحظ من الصدق والحياة وعمق الفكرة» (٣) .

ويبدو لنا أن نظرة ابي السعود إلى المقامات في مجمل ما قاله عنها في الرأيين لم تعطها اكثر من كونها عملاً أدبياً جامعاً لا فن فيه ولا ابتكار : لعناية كاتبها بالتنقير في المسائل اللغوية واصطيادها والعناية بالزخرف اللفظي : فهي غير بعيدة عن «الروايات والأخبار العديدة التي كان يخترعها السرواة والكتّاب ، يطلبون الاغراب والتظرف والرواج . أو يؤيدون الحجج والمذاهب» (٤) ، وهو بهذا ينسبها إلى الافتعال الذهني . ولا غرابة في أنْ يكون رأيه فيها على هذا النحو . وقد لحظ فيها الافراط في العناية باللفظ

---

(١) م/٥٥ -الرسالة- ١٩٨/٦٥٤ .

(٢) م/٣٣ -الرسالة- ٢٠١/٧٧٤، م/٥٩ -الرسالة- ١١٤/١٤٥٦ .

(٣) -الرسالة- ١٨٣/١٢ ، م/٣٢ -الرسالة- ١٦٥/١٤١٤ ، م/٤١ -الرسالة- ١٩٦/ ٥٨٦ ، م/٣٢ -الرسالة- ١٧٢/١٦٩١ .

(٤) م/٣٣ -الرسالة- ٢٠١/٧٧٤ .

الذي لا يعبر بصدق عن الحياة بمعانيه وأفكاره . فهي على ما توفرت عليه من شتى المعارف الثقافية العامة والمناظرات الخيالية وأوصاف بعض الجوانب الاجتماعية قد ظلّت اسيرة شكلها اللغوي ؛ لأنّ مؤلفها — كما قالت مجموعة من الدارسين — لم يملك عنيا قيود اللفظ وأغلال البديع وايغال اللغة والفاظها العويصة ، وأساليبها البليغة التي كانت ومازالت أدباً ومقياساً للبراعة والمهارة اللغوية (١) .

اما ما بدت عليه مقامات البديع من العجف والهزال فلا مقصد له — فيما أظن — الاّ نقد افكارها ، او عناصرها الشكلية المتصلة بأشكالها كالحوار والحبكة القصصية للأحداث فيها ، ولكنها تبقى — على أية حال — إرهاصاً لنشأة القصص الفني الذي لم يبلغ شأوه الرفيع أيامئذ بالمفهوم الحديث ، وهو نتاج لم يحقق شأواً رفيعاً من الفن في تلكم الأيام المتقدمة من القرن الرابع الهجري ، فظل يحمل في شكله ومضامينه وبنيته الفنية ما يحمل الارهاص المبكر في كل شيء من عناصر القوة والضعف والرفعة والانحطاط ، وما يقوي هذا التصور النقدي التشبيه الذي اجترحه أبو السعود بين المقامات وسبحات الخيال في الأدب الانكليزي فهماً «كطيران الدجاجة الخفيف مقيساً بتحليق البازي الكاسر» (٢) . ولهذا وجدناه يعد عمل البديع الهمذاني فيها غاية ما وصل اليه القصص العربي في أيامه من تطور اجتزىء في اول طريقه. ولم يتخط المرحلة التالية او يبلغها (٣) .

---

(١) لجنة من أدباء الأقطار العربية ، المقامة : ١٠ ؛ وينظر : محمود تيمور ، فن القصة/٣٧ ، فيكتور الكك ، بديعات الزمان/٦٦ ، موسى سليمان ، الأدب القصصي عند العرب /٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٩ ، حسني نصار ، صور ودراسات في أدب القصة/١٦ ، آدم متز (ترجمة ، محمد عبد الهادي أبو ريدة) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الاسلامية ٤٦١/١ .

(٢) م/٣٧ —الرسالة— ٧٧٤/٥١ .

(٣) م/٣٣ —الرسالة— ٧٧٤/٥١ ، م/٥٥ —الرسالة— ٦٥٤/١٩٨ .

أما رسالة الغفران التي عدّها طه حسين اول قصة خيالية عند العرب (١). فهي لدى ابي السعود اعظم وأجرأ أثر عربي في هذا الاتجاه باحتوائها من الخيال المتصل ومتعاته مالا نظير له في الأدب كلّه (٢) ؛ ونظنه :

عنى الأدب الانساني كله بهذا الاعمام ، بيد أنّ غاية مؤلفها لم تكن الخيال او الجمال او القص بالقصد عند الإملاء ، على الرغم من جمال فكرتها ، وامتلائها بالمواقف والمحاورات الممتعة وروائع الصور والأوصاف والقصيص والفكاهات المكتظة بالأخبار والروايات التي اخترعها الرواة والكتّاب لغلبة العناية فيها بالمسائل اللغوية والنحوية والأدبية النظرية التي وصفها أبو السعود بالعقم (٣) ؛ وكأنّ هذه العناية هي المقصد الأول فيها ؛ وتجلت بمظاهر اسلوبية اشار اليها — كما فعل الزيات من قبله ، وبنت الشاطيء من بعده — من اسراف باصطناع الزخرف اللفظي ، والتكلف في صناعة الجمل الموشاة بصنوف البديع تجارياً الفن الشائع في عصره — وهو القرن الرابع الهجري — والحرص على اظهار براعته في ذلك (٤) ؛ فضلاً عن ابتكار اكثر القواعد المتبعة لهذا النمط من الكتابة (٥) ، مما جعل أبا السعود ينظر اليها كسابق نظرته إلى مقامات البديع ، فيعدها مرحلة في نمو القصص الصحيح الذي يتمرد إلى القصة الفنية الاجتماعية والتحليلية الحديثة في وقت لم يبلغ فيه الخيال الراقي من الازدهار شأوه البعيد قياساً — كما اسلفنا معه — بسبحات الخيال في الأدب الانكليزي، بيد ان مذهب البديع الهمذاني وأبي العلاء في الخلق

---

(١) طه حسين ، تجديد ذكرى ابي العلاء /٢٣٩ ، وينظر : الشايب ، تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي /٨٢-٨٤ ، ادوارد أمين البستاني ، ابو العلاء متمثل في الفلسفات /١٤٧.

(٢) م/١ -الهلال- ٩١٤/٧ ، ٩١٥ ، /٣٢ -الرسالة- ١٤١٤/١٦٥ ، م/٥٥ -الرسالة- ٦٥٤/٩٨ .

(٣) م/٣٣ -الرسالة- ٢٠١ : ٧٧٤ .

(٤) عائشة عبدالرحمن بنت الشاطيء ، الغفران لأبي العلاء المعري /٧٥ .

(٥) الزيات ، في أصول الأدب /٢٤٠ ، ٢٤١ .

الخيالي قد توقف فيما بعد ، ولم يتطور خلال العصور المتعاقبة ؛ لأن الأدباء قد اقاموا في الأنماط التالية كمقامات الحريري وغيرها معارض للزركشة والصنعة اللفظية والألغاز المعماة والحيل اللغوية الملفقة (١) .

ولم يكن أبو السعود مهيأ — فيما نزعم — لمثل هذا التقويم والمقارنة لولا وعيه — كما قال أحد الباحثين — بالموروث وقيمته الفنية جراء الانفتاح على الثقافة الغربية والاطلاع على سبل تجاوبها معه (٢) . بانكبابه — كما قال باحث آخر — على دراسة الأدب والحياة الانكليزية وحبه للأدب العربي القديم ووعيه لكليهما معاً (٣) ، وهو في ضوء ما سبق له من تقويم للعوامل المؤثرة في بنية تاريخ الأدب العربي (٤) ، يجد أن الظروف لم تكن ملائمة لتطور القصة العربية إلى الاكتمال والنضج ؛ لأسباب صاحبت نشأتها فأوقفتها في أول الطريق ، وهي : البيئة ، والدين ، ونزعة المحافظة والتقليد ، وعدم الانتفاع بالآداب الأجنبية وتنصل الأدباء من وظيفتهم الاجتماعية وغلبة الشعر على غيره من الأنواع الأدبية ، وضمور دور المرأة في المجتمع ، مما سنعرض له بالتفصيل فيما يأتي

أولاً : البيئة ، ينطلق أبو السعود في تشخيص اثر هذا العامل من أن البيئة العربية لعبت دوراً في كبح جماح الخيال الواسع لدى أديبها العربي ، فلم تمنحه حب التأمل الذي هو قوام القصص النثرية والشعرية ؛ لأن ما كانت تبثه فيه غالباً هو الصحو والسرعة في التحول من غير اطالة المكث في المكان فضلاً عن قلة ما يحجب الأشياء فيها كالضباب ؛ فيفتح المجال ، لتصورات الأديب وأخيلته كتمثل الاشباح وكل ما يثير في النفس احساساً

(١) م/٩ —الرسالة— ١٩٩/٦٦٤ ، م/٣٣ —الرسالة— ٢٠١/٧٧٤ ، م/٥٥ —الرسالة— ١٩٨ ٦٥٤ .

(٢) محسن جاسم الموسوي ، الرواية العربية النشأة والتحول /٢٥ .

(٣) علي شلش ، ديوان فخري ابو السعود /٤٤ ، ٤٥ .

(٤) ينظر : المبحث الثاني من الفصل الاول .

بالرهب والوشم والتوجس . مما تحفل به خرافات الأمم الأخرى وأساطيرها من ذكر للغلس والغسق والضباب (١) ، ومرد هذا إلى بساطة البيئة العربية وحدود ما تقدمه للأديب من مادة تصويرية متنوعة يشكلها تشكيلات فنية دالة على خصب التصور والتخيل (٢) ؛ ومن هنا نجد مسارعة الأديب – على حد قول أبي السعود – إلى انكار الخوارق ونبذ الأغراب والسخرية من المغربين (٣) ، مما عبّر عنه احد الباحثين بفكرة التصاقها بالجوامد وهي فكرة لا يحملهم الخيال فيها على ارتياد عوالم فسيحة (٤) تزقى فيها الصورة الأدبية ، كالذي نلحظه من سخرية دعبل الخزاعي من قبيلته حين زعموا أنّ احد الأجداد قد حادث ذئباً ، فهو يقول (٥) :

تهتُمْ علينا بأنّ الذئب كلمكُم فقد لعمري أبوكم كلّم الذيبا
فكيف لو كلّم الليث الهصور ؟ إذن أفْنيتُم الناس مأكولا ومشروبا (٦)

فالبداوة والصحراوية أفقان كبحا جماح الخيال الأدبي عند العرب ، فوجدنا الأديب عندهم كثير الالتزام بالواقع المحقق ، شديد الوجازة في الموضوع والأفكار والتعبير عما يحس ، يرسل قوله على السجية أبياتاً محكمة النسج لا يربط فيها حاضراً بماض (٧) ، كان هذا في الشعر ، ومن الأولى أن يكون في القصة أيضاً ، لأنها تحكي عن الحياة باسلوبها السرديّ ، فحين تشح معطيات الواقع ، لا يتسع المجال لنشأة مادة قصصية تساعد على نشأة

(١) م/٣١ –الرسالة– ١٧٩٢/١٧٤ .
(٢) محمد خير الحلواني ، العرب وآداب اليونان/١١ ، وينظر : محمد مفيد الشوباشي ، القصة العربية القديمة /٩–١٢ .
(٣) م/٣١ –الرسالة– ١٧٩٢/١٧٤ .
(٤) احمد ابو حاقة ، فن الشعر الملحمي /٧٢ .
(٥) م/٣١ –الرسالة– ١٧٩٢/١٧٤ .
(٦) ينظر : شعر دعبل بن علي الخزاعي /٣٣٨ .
(٧) م/٣٢ –الرسالة– ١٤١٥/١٦٥ ، م/٣٣ –الرسالة ٧٧٣/٢٠١–٧٧٥ .

نوع ادبي منضج متكامل كنضج الشعر وتكامله . يضاف إلى هذا أنّ العرب غير شاديدي الولوع — كما قال أبو السعود — بتقصي مناظر الطبيعة وتصويرها والتحليق على اجنحة الخيال الرحب (١) ؛ مما يكسر طوق الواقعية التي فرضتها عليهم حياة البداوة في الصحراء .

ثانياً : الدين . الذي طبع كل مرافق الدولة والمجتمع بنزعته التهذيبية ، وحمل الكثير من الأدباء على الأخذ بالأخبار الصادقة عن اسلافهم من الجاهليين والاسلاميين وزهدهم بالأساطير والأحاديث المختلفة وجمحات الخيال (٢)، حتى قال من قال : انه «أضعف من إمكان صنع المعجزات والخوارق المدهشة، وحدّ من قدرة الانسان على الاتيان بما ليس معقولاً او ما ليس في نطاق عمله . ومن هنا ضاق مجال العمل الخارق امام المسلمين » (٣) . على الرغم مما أمدهم به القرآن الكريم من القصص المعجب ، كقصة الجان وائتمارهم بأمر سليمان (٤) . بيد انّه صرفهم عن اساطير الأولين التي ادعى المشركون الأوائل معرفتها وكانوا يتهمون النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن ما جاءهم به من معجزة القرآن شيء منها (٥) ، ودعاهم إلى النظر في خلق السموات والأرض ، وطلب العلم الصادق الصحيح ، ولكنهم آثروا رواية الأخبار التاريخية والأدبية وحفظوها بما خالطها من التحريف بزعم أنّها حقيقة لااختلاق، فكثرت لديهم كتب التواريخ والسير دون كتب القصص ، وغاية

---

(١) م/٣١ –الرسالة– ١٧٩٢/١٧٤ ، م/٣٢ – الرسالة– ١٤١٥/١٦٥ ، م/٣٣ – الرسالة – ٧٧٥/٢٠١ .

(٢) م/٧ –الرسالة– ١٧٣٧/١٧٣ ؛ م/٣١ –الرسالة ١٧٩١/١٧٤ .

(٣) أحمد أبو حاقة : فن الشعر المنحمي /١٠٧ ، ١٢٤ .

(٤) سورة النمل ، الآية ١٨ ، وسورة سبأ ، الآية ١٢ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية ٢٥ ، سورة الأنفال ، الآية٣١، سورة النحل ، الآية ٢٤ ،سورة المؤمنون ، الآية ٨٣ ، سورة الفرقان ، الآية ٥ ،سورة النمل،الآية ٦٨ ،سورة الأحقاف الآية ١٧ ، سورة القلم ، الآية ١٥ ، سورة المطففين ، الآية ١٣ .

ما يذكر منها كما صرح ابو السعود ما حيك حول يوم من أيامهم العظيمة. أو ما أشيد به بأمجاد قبائلهم . وما أخرج من احاديثهم مخرج الحق . كالروايات والنوادر التي اخترعها ابن دريد وأطلق لخياله فيها شيئاً قليلاً من الحرية وقصص بعض امثالهم كقولهم : «عند جُهينة الخبر اليقين» . و «السيف ضيعت اللبن» . و «جزاء سنمار» . بل أنّ اصحاب المقامات حرصوا على الاّ يبعدوا كثيراً عما يدخل في حيز الامكان من الأحداث القصصية التي سردها المتلقون . حتى انّ العرب لمّا اطلعوا على حضارات الأمم الأخرى من فرس ويونان وهنود لم يتأثروا الاّ بما صدقوه واستملحوه من التواريخ والحكم والأمثال، ولم يعن لأحد من ادبائهم ان يستعير من خرافات أولئك واساطيرهم معاني الجمال والروعة لتكون مادة ثرة لأدبه (١) .

ومما زاد من ثروة العرب من الأساطير جرأة بعض المغرضين على الأحاديث النبوية بالتقليد والاختراع والتفسير الذي يوافق اهواءهم ويخدم اغراضهم . وقد اشار ابو السعود ايضاً إلى انّ من آثار تحريم الخمر في التعاليم الاسلامية غلبة سمات التؤدة والصحوة والاحجام عن الخيالات المحلقة في أجواء الوهم (٢) الذي هو مادة القصة ورفدها الكبير .

ثالثاً : نزعة المحافظة والتقليد ، وسيادة الولع الأدبي بمحاكاة بدائع المتقدمين واستتبعت هذه النزعة بالبداهة ولعاً بالألفاظ التي استغرقت كل تفكير الأدباء واجتهادهم والهتهم عن المغامرة الأدبية او الابتكار والتنويع في الموضوعات والأشكال الجديدة ، ولهذا عدت مقامات بديع الزمان ورسالة الغفران — كما اسلف واسلفنا معه — سمات القصة الفنية المتكاملة لحرص

---

(١) م/٣١ -الرسالة- ١٧٩٢/١٧٤ .
(٢) م.ق.ن والصفحة .
(٣) م/١ - الرسالة- ١٧٩٢/١٧٤ ، م/٥٥ -الرسالة- ٦٥٤/١٩٨ .

الكاتبين على الزركشة اللفظية المعجبة المصنوعة ، وكانت هذه السمة المقصد الأول للحريري في محاكاته لمقامات البديع فضلاً عن التقليد في شكل البناء الذي يجعل المقامة — كما قال ابو السعود — دهليزاً إلى القصة — اي مدخلاً اليها — وقصة تبدأ بظهور بطله أبي زيد السروجي الذي لم تتضح شخصيته وتتعدد نواحيها في نصوص الحريري كما اتضحت شخصية أبي الفتح الاسكندري في نصوص البديع (١) . وظلت العقدة الكبرى في وقوف تطور القصة العربية في تقديس الخلف لآثار السلف في الأدب العربي القديم كله ، لسيادة القوالب الأولى التي صب فيها ذلك منذ عصر ما قبل الاسلام . وسيادة فكرة احتذاء تلك القوالب وحدها ، والعمل على ترقيتها وتجميلها بفعل الحضارة دون العمل على اختراع قوالب جديدة (٢) .

رابعاً : عدم انتفاع ادباء العربية من الآداب الأخرى ، فقد رأى ابو السعود أنّ ذلك من الحوائل التي حالت دون احتفال العرب بالأساطير والخرافات والقصص المختلفة ، فابتعدوا عن الاطلاع على عوالم الأدب اليوناني والروماني الزاخرين بالحقائق والخيالات والخرافات والأقاصيص العديدة المفعمة بروائع الصور والجمال ، المرصعة باشتات الآراء النقدية والنظرات الثاقبة التي تشغل الناس في شؤون عالمهم وحياتهم الاجتماعية مما هو — عند أبي السعود — مادة الأدب وصميمه (٣) .لأنّ مخيلة اولئك واحساساتهم الفياضة قد أطلت على العالم إطلالة شاملة فنظروا بها إلى الوجود من خلال الأساطير نظرة فنية تشعرنا بتيار الحياة يتدفق ويجيش في كل جانب (٤) ،

---

(١) م/٣١ — الرسالة — ١٧٤/١٧٩٢ ، م / ٥٥ — الرسالة — ١٩٨ / ٦٥٤ .
(٢) أحمد أمين وزكي نجيب محمود ، قصة الأدب في العالم ١/٤٠٥ .
(٣) م/١٧ —الرسالة— ١٨٣/١٩ ، م/٣٢ —الرسالة— ١٦٥/١٤١٥ ، م/٣٣ —الرسالة— ٢٠١/٧٧٥ .
(٤) أبو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب/٤٠ .

ويخفي في ثناياه فكراً وحكمةً وفلسفةً وأدباً متبلوراً ناضجاً (١) ، كثير التفنن وافر الموضوعات في نقد الحياة في اشكالها واحوالها المختلفة (٢) ، مما يستدعي حالة التجديد في اشكال الأنواع الأدبية ، ولو كان العرب قد التفتوا إلى هذا الجانب من الانتفاع بالآداب الأخرى لرحبت آفاق ادبهم ، وبانت مناهجه . وبرزت اشكاله على النحو الذي اخذ يدب في نسيجه الفني الحديث والمعاصر ، بعد ان اتسع ابناؤه في الافادة من النتاج الانساني الشامل ، فبدأ ادبهم بالغنى والتنوع في الأشكال والمواضيع شعراً ونثراً ، فاقتبسوا القصة القصيرة والقصة الطويلة والرواية التمثيلية والمقالة ايضاً ، مما تأتى عن اطلاعهم على الأدب الغربي ، وترجمة الآثار المشهورة فيه ، فوقع في نفوسهم وأدبهم من ذلك اكبر الأثر بقصد وبغير قصد (٣) .

خامساً : تتصل بعض الأدباء من وظيفتهم الأجتماعية . واستمرار التوجه بأدبهم الى الأمراء دون الشعب مما جعلهم يعيشون جفوة عن المجتمع وقلة تواصل وتجاوب معه في تقلبات عصوره السياسية والأجتماعية والمشاركة بأدبهم في نقد الظروف ومعالجتها وتحليلها واصلاح الفاسد منها ولو فعلوا ذلك لاضطروا الى انتزاع بعض صورهم من خرافات المتقدمين لتصوير حالة مجتمعهم، ولكنهم لم يصوروا مشكلات الشعب أو يعبروا عن مشاعره وحاجاته، أو يحاولوا قيادته والأخذ بيده كما يجب ، فالحريري مثلا حين أطرى بديع الزمان في مقاماته ذكر أنه لم يكتبها بداع نفس دعاه الى تناول مشكلات مجتمعه وقضاياه دراسة وعرضاً وتوجيهاً واصلاحاً، وانما امتثل

---

(١) محمد حمدي ابراهيم ، دراسة في نظرية الدراما الأغريقية/٧ .
(٢) أحمد أمين وزكي نجيب ، قصة الأدب في العالم ١/٤٣٥ .
(٣) م/٨ -الرسالة ١٨٤٠/١٧٥ ، م/١٥ -الرسالة- ٦١٧/٤١ ، م/٣٢ -الرسالة- ١٦٥ ١٤١٥ ، م/٣٣ -الرسالة- ٧٧٥/٢٠١ ، م/٤٦ -الرسالة- ٥٦/٨٠ .

لدعوة أحد الأمراء الى صناعتها ، ومن هنا فهي ليست قصصاً اجتماعيا ومن المحال – كما ذكر أبو السعود – أن تبلغ القصة مراقي القصة الأجتماعية في مجتمع يتنصل فيه الأدباء من مشكلات الشعب ويلوذون بأكناف الأمراء (١)

سادساً: غلبة الشعر على غيره من الأنواع الأدبية، لانه كان أول الوسائل التعبيرية عند العرب، وهو الوسيلة التي استوعبت ملكات نوابغهم ومثقفيهم، وكادت تكون فنهم الوحيد الذي ساد على مادونه من ضروب الأدب والفنون(٢) وقد رأى أبو السعود أن الشعر لو أفسح المجال لغيره لاحتمل ان يلجأ أديب كأبي نواس الى القصص يودعه شتى أخبار لهوه ووقائع غرامه وغور عواطفه ولكن سيادة الشعر جعلته لايتردد في سلوك سبيل الشعر القصصي أو القصص المنظوم شعراً مما سبق اليه عمر بن أبي ربيعة وبقية الشعراء ، وسيادة الشعر وجه من سيادة الأدب جملة عند ابي مسعود ، لأن الأدباء لو وجدوا رواجا في الفنون الأخرى كالتصوير والنحت وغيرهما كرواج الأدب لانصرفوا بها عنه أو لمارسوها معه جنباً الى جنب (٣). أما الشعر فقد كان – كما قال أحد الباحثين – «يغنيهم عن الفنون الأدبية الأخرى غناء كاملا .. وكان يشبع في نفوسهم النزعة التي تنزع بعشاق القصة اليوم الى قراءتها» (٤) . وعلّ هذا الإقرار بمكانة الشعر قد جنى على القصة لأنها معدودة عند البعض أحبولة أكاذيب، ومرتبة من الإنشاء بسيرة يستطيعها كل من رامها، ولاتجعل بالأديب – كما قال أبو السعود – ولا بالأدب الراقي ان يتدليا إليها أو يلهثوا بحوكها، ولم يسلك سبيلها من الأدباء الجيدين الا من كان يبتغي غاية أخرى

---

(١) م/٥٢ –الرسالة– ١٠٩٢/٥٢ ، م٥٥ –الرسالة– ٦٥٤/١٩٨ .
(٢) م/٥٣ –الرسالة– ١٠٩٢/٥٢ ، ١٠٩٣ .
(٣) م/٥٣ –الرسالة– ١٠٩٢/٥٢ ، ١٠٩٣ .
(٤) ثروت اباظة ، القصة في الشعر العربي / المقدمة .

دونها كالاعتبار بها والصناعة البلاغية (١) التي يمكن ان تتسع فيها كما رأينا في المقامات ورسالة الغفران. ولهذا تبدو القصة وكأنها لم تكن عندهم من جوهر أدبهم؛ فتخلى عنها كبار الأدباء إلى الوعاظ وكتاب السير والوصايا؛ ليرسلها هؤلاء روايات وشواهد قصيرة على وصاياهم وحكمهم (٢).

سابعاً: ضمور دور المرأة في المجتمع، وهو دور غائب فبامتداد الانتشار والاختلاط المختلف الأجناس انتشر التسري والعبث والفساد، وضرب الحجاب على المرأة، وخيم عليها الجهل، فاعتزلت المجتمع، فاتسع المجال لأنتاج أدب بذيء كأشعار بشار بن برد وأبي نواس واضرابهما (٣) لم يكن فيه للمرأة تأثيرها المرقق للشعور المتسلمي، والقصة لن توجد في الأدب - كما قال أحد الباحثين - الا بوجود المرأة، ولن تكون الا إذا رأوها بحرية وصراحة. فهي في جميع الاداب موقوفة عليها (٤). ورأى أبو السعود أن اخراج القصة الفنية لايتم الا بها. تلك القصة التي تنتجها المرأة، وتعنى فيها بدراسة المجتمع وتشرح عواطف الحب، وتقدس الزواج، وتتقصى تفاصيل الحياة بحركاتها وسكناتها، وتتابع حوادثها، فتكون خير مجالاتها للتعبير عن خوالجها وملكاتها ومنازعها، لأن لطف نفسها، ودقة ملاحظتها يمكنانها من فهم نزعات الأشخاص والإلمام بالأشياء، فضلاً عما لها من الخبرة في مجالات الحياة وشؤون الاجتماع والمعاملات والأحاديث، زد على هذا مايتاح لها في القصة من التعبير على ألسنة الغير من نزعات الحب وأطواره وأحواله مما لايسوغ منها لو أزمعت لرسالة شعراً

---

(١) م/٥٣ - الرسالة - ١٠٩٢/٥٢ .
(٢) محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن /٢٢٠
(٣) م/٥٥ - الرسالة - ٦٥٤/١٩٨ .
(٤) أنور الجندي ، خصائص الأدب العربي /٣٢١ .

ويتضح من هذا: أن رقي أدب المرأة رهين برقيها في المجتمع، والقصة أليق بطباعها وأمزجتها عند أبي السعود؛ لأن الشعر محتاج إلى قوة وفخامة وشمول نظرة واتساع أفق وأخيلة جامدة لاتتوفر لكثير من النساء؛ بعد أن كان الشعر خير مجال نبغت فيه للمرأة العربية في صدر التأريخ الأدب العربي وأخرجت فيه أحسن آثارها في طورها الأول (١)، وتتسع نظرة أبي السعود في هذا الجانب حين يشير إلى تقصير المرأة العربية في الأنتاج الأدبي، وإلى ضآلة أثرها في الأدب بوجه عام إذ قيس بأثر الرجل فيه واتساع أغراضه، ومنها ما أنشأه حول المرأة نفسها من أدب، وماذالك الا لحرمانها من عوامل مساعدة كأنتشار العلم العام والدراسة الأدبية التي يمكن ان تعبر بها النسوة على تباين طبقاتهن وتعدد طبائعهن، فضلاً عن غياب في القصة (٢) الذي يمكن ان يتسع للأدب النسوي — كما أسلفنا — أكثر من اتساع الشعر.

ومما تقدم كله يتضح لنا اثر العوامل التي جعلت القصة العربية القديمة تقف عند حدود الارهاصات الأولى لتقمص الاجتماعية والنفسية دون أن تتعقب ذلك خطوة تالية تجعلها مادة لأديب فصيح يرتفع فيه الخيال ويتسع إلى ابعد من الخيال المعتمد على الخرافات والحكايات التي تتقاوضها العامة عن الأحوال الغابرة والدول المنقرضة، فتبدو وكأنها ابواق او معارض للسياسة التي تنفث في اغراضها وغاياتها، حتى سنحت الفرصة لتدوين قسم منها، وبقي القسم الآخر يتداول شفاها (٣) مثل الف ليلة وليلة، وعنترة، والمهلهل، وسيف إبن ذي يزن، ومنها ما احتوى على الحكم كما في شخصية جحا الخيالية وحكاية

(١) م/١٠ — الرسالة — ٩٨١/٢٠٦، م/٥٢ د — الثقافة — ١٩/١٠٦، م/٥٨ — الثقافة — ٣٠/٣.
(٢) م/١٠ — الرسالة — ٩٨١/٢٠٦، م/٥٥ — الرسالة — ٦٥٤/١٩٨، م/٥٨ — الثقافة — ٣٠/٣.
(٣) م/٣١ — الرسالة — ١٧٤ : ١٧٩٢، م/٣٢ — الرسالة — ١٤١٥/١٦٥، م/٣٦ — الرسالة ٢٩٧/١٩٠.

علي بابا والنصوص الأربعين (١) . وهي قصص شعبية تمج – كما ذكر أبو السعود – بأقاصيص الأمم القديمة وأخبار الرحلات الجديدة ووقائع الأبطال والغازين ومخاطرات التجار والملاحين ونوادر الظرفاء والمعتوهين والأساطير والخرافات المحكية عن المردة والسحرة ومنها ما يحكى على السنة الحيوان . فلقد ضمنت العامة هذه القصص افكارها وآمالها وثقافتها على ما يكسوها من مسحة القصور والسذاجة والجهل ، وعلى ما يشوب بعض المواقف فيها من شهوات الحس والفحش ، وهي على عاميتها وركاكة اسلوبها غنية بالأوصاف الممتعة المسهبة ، وروائع المشاهدات والمرئيات والمناظر التي رآها الحاكي في أسماره ، فضلاً عما عرضته من صور المجتمع وآثار الخيال الذي ذكر أبو السعود أنه يعوز أدبنا العربي الفصيح طُرّه (٢) .

ومن هذا نستنتج ان الأدب العامي اشتق من مكنونات أزلية قديمة تجتمع فيها أمشاج من الخرافات والأساطير للوقائع البطولية والمأثورات والحكايات الشعبية التي تكفيها العامة شكلا ومضموناً بما يلائم بيئتها (٣) ، وتبوح فيها بما لايبوح به الأدب الفصيح من الروعة والجمال والمتعة والعبقرية والخيال والصدق في المشاعر ، وهي تتسم في البيئة العربية روائح الشرق وبذخه وكنوزه وغرائبه المخلدة المقربة الى نفوس الشعب والى الأمم الأخرى التي أعجبت به ودرسته وحاكته وترجمته الى لغاتها ، فقد فطن اليه الأوربيون في

---

(١) م/٣١ –الرسالة– ١٧٤٢/١٧٤ ، م/٣٦ –الرسالة– ٢٩٦/١٩٠ ، م/٣٩ – الرسالة – ١٠١٣/٢٠٧ .

(٢) م/٣١ –الرسالة– ١٧٩٢/١٧٤ ، م/٣٣ –الرسالة– ٧٧٥/٢٠١ ، م/٣٦ – الرسالة – ٢٩٨/١٩٠ ، م/٥٣ –الثقافة– ١٠٩٢/٥٢ .

(٣) فروزيش ديرلاني ، الحكاية الخرافية نشأتها ومناهج دراستها وقيمتها/٤٠ . ١٣٨ ، وينظر : أحمد أبو سعد ، فن القصة ٣٩/١ ، فاروق خورشيد ومحمود ذهني ، فن كتابة السيرة الشعبية /٣٨ .

عهد الحروب الصليبية وراحوا يحاكونه في آدابهم الشعبية، وعرفوا فضل إدخاله بوصفه عنصراً رومانسياً في آدابهم العالية: فتلك الأقاصيص الشعبية — كما ذكر أبو السعود — هي نواة الأدب الاسباني الحديث في عهد النهضة الأوربية المتمثل بقصص سرفانتس: فضلا عن تأثيرها في الاداب الفرنسية والأنكليزية وانتقالها فيما بعد الى جنوب فرنسا ثم الى ايطاليا ليستخدمها بوكاشيو وبترارك ودانتي (١)، بل لقد كان دخول تلك القصص بالترجمة إلى البيئة الأسبانية بدءاً التحول الشعر الغزلي الى قصص تتناول حالات الحب وأحوال العشاق استعار كتابها مواضيع وأساليب عربية مما آذن بعهد نهضة أدبية (٢)، ولقد صرح أبو السعود بما كان لقصص ألف ليلة وليلة من مكانة في الغرب، فقد أقتبسها وترجمها من لم يسمع بحكم المتنبي وأمثال أبي تمام الطائي وبديع الزمان وابن المعتز. ووجد فيها بغيته بعد أن صده عن دراسة الأدب العربي الفصيح والانتفاع بما حوته نصوصه من غرابة وتكلف في المعاني وزخرفة لفظية: مما عزاها الأوربيون الى اختلاف في العقلية، وأرجعه أبو السعود إلى مخالط الأدب العربي الفصيح من تقاليد جامدة أشبه ماتكون بالرموز الدينية المغرية التي لاتعبر عن مشاعر النفس الأنسانية الشرقية والغربية على حد سواء (٣).

وهو بهذا يريد الوصول الى نفي الاثر الفكري المزعوم بين رسالة الغفران للمعري والكوميديا الالهية لدانتي، وبين قصة حي بن يقظان وقصة روبنسون كروزو. وعنده أن هذا التأثر لو كان حاصلا فعلا لما اقتصر على هذين المثالين حسب: وهو لم ير بين الكوميديا والغفران الا التشابه في

(١) م/٢١ –الرسالة– ١٣٣/١٨٦ .
(٢) مجلة التراث الشعبي، الحكاية الشعبية العربية وأثرها في الحكاية الأجنبية، كاظم سعدالدين ع٩، السنة الحادية عشرة، ١٩٨٠م: ص٥٦، ٥٧ .
(٣) م/١٤ –الرسالة– ٨/١٨٤ = م/٣١ –الرسالة– ١٧٩٤/١٧٤

اتخاذ عالم الاخرة والجنة والنار مشهداً للرحلة ووقائعها. أما ماعدا ذلك فالفكرة في العملين انسانية بدهية طرأت على الفكر في شتى عصوره وأصقاعه (١) ، واشتركت بها البشرية منذان سمعت بأن هناك عالماً آخر راحت تتمثله وتتصوره وتقوم برحلات خيالية إليه قبل ان يولد أبو العلاء بأزمان مما عرضته الأديان بتفصيل لايدع السبيل الى إيثاره به، (٢) ويقال مثل هذا عن الفكرة الانسانية المشتركة بين قصتي حي بن يقظان وروبنسون كروزو وقد عدهما أبو السعود أثرين فلسفيين لأدبيين (٣) ، كما عرج الى التصاقب والتماثل بين حكايات شذاذ العرب (ونظنه : قد عني بهم حكايات الصعاليك) وحكايات روبن هود وأصحابه، ولم يرأي صدى للأولى في الثانية على وجه المحاكاة أو الاقتباس لأن التباعد التاريخي بينهما يضعف أن يكون ثمة شيء من ذلك (٤) .

ومما يتصل بهذا كله اشارة أبي السعود الى موقف أدباء العربية المستخف بالأدب الشعبي العربي خلافاً لمواقف الأدباء الأوربيين من آدابهم الشعبية . فالمسعودي وابن النديم اللذان اطلعا على قصص الف ليلة وليلة لم يخطر لهما أن فيها مادة لعبقرية الأديب أو لقاحاً للأدب، لأنها وأمثالها- كما ذكر بعض ابناء جيل أبي السعود- أدب رآه أدباء العربية شعبيا وضيعا، مما حملهم على عدم تقديره كما قدره الأوربيون (٥) الذين عجبوا به، وترجموه الى

---

(١) م/٢١ -الرسالة- ١٣٣/١٨٦ .
(٢) عائشة عبدالرحمن بنت الشاطيء ، الغفران لأبي العلاء المعري /٣٣١ ، وينظر : محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن /١٥٣ ، ١٥٨ .
(٣) م/٢١ -الرسالة- ١٣٣/١٨٦ .
(٤) م/٣١ -الرسالة- ١٧٩٢/١٧٤ .
(٥) أحمد أمين وزكي نجيب محمود ، قصة الأدب في العالم ٣٢٣/٣ .
وتنظر : مجلة الحديث ، خواطر حول الف ليلة وليلة ، الاستاذ صديق شيبوب ، ١٤ ، السنة ٢٠ ، ١٩٤٦ ، ص٥٣ .

لغاتهم، وأفادوا منه الشيء الكثير ،ومرد الفرق بين الأدب الفصيح والأدب الشعبي عند أبي السعود الى الهوة التي بينهما، فالأدب الشعبي لايتسق مع الأدب الفصيح في لغته وموضوعاته، فضلا عن اتسامه بالسذاجة التي لايليق بالأديب الفصيح ان يحوك على نسجها، والسخرية التي وجهت الى الأقاصيص الشعبية في القرن الرابع الهجري ابان سيادة الصناعة اللفظية على الاساليب والروح التي حركت الأدباء على تقليدها والمحافظة عليها، وأن كان نتاج هذا التقليد عملا بالغ التكلف: على خلاف الأدب الشعبي الذي نها عن أساليب الأولين، فكان هذا مدعاة لاستهجانه والحط من قيمته الفنية، ناهيك عن تعلق الأدباء- كما ذكر أبو السعود - بأهداب الملكية المطلقة ابتغاء للنوال مما جعل أدبهم الفصيح يحفل بذكر علية القوم ويشمخ عن ذكر حياة العامة والسوقة والدهماء: لأنه لايرى فيها وحياً للقول أو موضوعاً للتفكير (١) ، وأراد من هذا الكشف عن حقيقة الخسارة التي ترتبت على الأدب العربي حين غلب فصيحه على شعبيه الممتع الملهم المقترب من الطبيعة والصدق والمتسع لمنادح التفكير، وتمنى لو أن ادباء العربية قد فطنوا إلى هذا الأمر ليأخذوا بيد القصة ، ويرفعوها من وهدتها العامية ، ليجعلوها لغة الفكر المثقف ، وليغنموا بها فناً يشهد به الأدب العربي حياة ونهضة جديدة (٢) .

---

(١) م/١٤ -الرسالة- ١٨٤/٥٦-٥٨ .
(٢) م/١٤ -الرسالة- ١٧٤/٥٧-٥٨ .

المصادر والمراجع

١ — ابو العلاء المعري متأمل في الظلمات، أدوارد أمين البستاني، بيت الحكمة، بيروت ١٩٧٠ .

٢ — الأدب القصصي عند العرب، موسى سليمان ، ط٤، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٩.

٣ — الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال ،ط٥، دار العودة ودار الثقافة بيروت بلا تاريخ .

٤ — الأساطير — دراسة حضارية مقارنة — ، د. أحمد كمال زكي، ط١ دار العودة، بيروت ١٩٧٩ .

٥ — أساطير العالم القديم، صموئيل نوح كريمر، ترجمة: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٤٧ .

٦ — أساطير ملهمة، زكي المحاسني، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠ .

٧ — الاساطير والخرافات عند العرب، محمد عبد المعيد خان، ط١ ، دار الحداثة للطباعة والنشر . بيروت ١٩٨١ .

٨ — الأسطورة، د. نبيلة ابراهيم، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد . ١٩٧٩ .

٩ — الأسطورة ك. ك. راثفين، ترجمة :جعفر صادق الخليلي، ط١ . منشورات : عويدات ، بيروت ١٩٨١ .

١٠ — الأسطورة في الشعر العربي الحديث . د . أنس داود ، دار الجيل للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٥ .

١١ ــ بديعات الزمان، فكتور الكك، ط٢، مطبعة دار الهلال، القاهرة ١٩٤٨ .

١٢ ــ البطل في الأدب والأساطير ،د. شكري عياد ،ط٢ ،دار المعرفة . القاهرة ١٩٧١ .

١٣ ــ تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي، السباعي بيومي، ط١ ،مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ١٩٥٦ .

١٤ ــ تجديد ذكرى ابي العلاء ، د. طه حسين ، ط٨ ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٦ .

١٥ ــ الجن في الأدب العربي، نهاد توفيق نعمة، المطبعة المخلصية، صيدا ١٩٦١ .

١٦ ــ الحضارة الأسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الأسلامية آدم متز . ترجمة: عبد الهادي ابو ريدة. ط٤ مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٧ ــ الحكاية الخرافية نشأتها ومناهج دراستها وقيمتها، فروريش فون ديرلاني، ترجمة: د. نبيلة ابراهيم و د. عز الدين اسماعيل، ط١ دار العام، بيروت ١٩٧٣ .

١٨ ــ الحكاية والانسان، يوسف أمين، مطبعة الجمهورية ، بغداد ١٩٧٠.

١٩ ــ خصائص الأدب العربي، انور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت بلا تاريخ .

٢٠ ــ الخيال الشعري عند العرب، ابو القاسم الشابي، ط٣، الدار التونسية للنشر :تونس ١٩٥٨ .

٢١ ــ دراسة في الأدب العربي. د. مصطفى ناصف. ط٤. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت ١٩٨١ .

٢٢ ــ دراسات في الاساطير والمعتقدات الغيبية ، صالح بن حمادي. ط ١ دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع . تونس ١٩٨٣ .

٢٣ ــ دراسة في نظرية الدراما الأغريقية ، محمد حمدي ابراهيم ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧١ .

٢٤ ــ الدولة والأسطورة، ارنست كاسيرر. ترجمة: أحمد حمدي محمود الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٥ .

٢٥ ــ ديوان امرىء القيس، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٥.

٢٦ ــ ديوان فخري أبو السعود، جمع وتقديم وتحقيق، د. علي شلش. الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٥ .

٢٧ ــ الرواية العربية ، النشأة والتحول . د. محسن جاسم الموسوي ط١ . منشورات مكتبة التحرير : بغداد ١٩٨٦ .

٢٨ ــ الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. د. عزالدين اسماعيل، ط٢ ، دار العودة: بيروت ١٩٧٢ .

٢٩ ــ شعر دعبل الخزاعي ، صنعه: د. عبد الكريم الاشتر ، القاهرة ١٩٦٤

٣٠ ــ صور ودراسات في أدب القصة. حسني نصار . مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٧ .

٣١ ــ العرب وأدب اليونان، محمد خير الحلواني: نشر المكتبة العربية . حلب ١٩٦٩ .

٣٢ــ الغفران لأبي العلاء المعري، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء . دار المعارف، القاهرة ١٩٥٤ .

٣٣ــ فجر الإسلام. د. أحمد أمين. في الحياة العقلية، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٥ .

٣٤ــ فن الشعر الملحمي. أحمد ابو حاقة، ط١ ،منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ١٩٦٠ .

٣٥ــ فن القصة، أحمد ابو سعد، ط١، دار الشروق الجديد، بيروت . ١٩٥٩ .

٣٦ــ فن القصة، محمود تيمور، ط٢، مطبعة دار الهلال، القاهرة ١٩٤٨.

٣٧ــ فن كتابة السيرة الشعبية، فاروق خورشيد ومحمود ذهني ، ط٢ منشورات اقرأ، بيروت ١٩٨٠ .

٣٨ــ في أصول الادب . احمد حسن الزيات، ط٢ ،مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٤٦ .

٣٩ــ في طريق الميثوبولوجيا عند العرب ــ بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الاسلام ، محمود سليم الحوت، ط٢، دار النهار للنشر ،بيروت ١٩٧٩ .

٤٠ــ قصة الأدب في العالم، د. أحمد أمين وزكي نجيب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٣ .

٤١ــ القصة العربية في العصر الجاهلي، عبد الحليم محمود، دار المعارف القاهرة ١٩٧٥ .

٤٢ ـ القصة العربية القديمة، محمد منير الشرباشي، مطابع دار العلم القاهرة ١٩٦٤ .

٤٣ ـ القصة في الشعر العربي، ثروت أباظة، منشأة دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧ .

٤٤ ـ مضمون الأسطورة في الفكر العربي، خليل أحمد خليل، ط٢ : دار الطليعة. بيروت، ١٩٨٠ .

٤٥ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام، د. جواد علي. ط١ : دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧١ .

٤٦ ـ المقامة، لجنة من ادباء الأقطار العربية، ط٣ : دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣ .

٤٧ ـ نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، لابن سعيد الاندلسي. تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الاقصى. عمان ١٩٨٤ .

٤٨ ـ نظرية الادب، اوستن وارين ورينيه ويليك. تحقيق : محيي الدين صبحي، مطبعة خالد الطرابيشي، دمشق ١٩٧٢ .

٤٩ ـ النقد الادبي الحديث، ستانلي هايمن، ترجمة : د. احسان عباس ويوسف نجم، ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٨ .

٥٠ ـ الوظيفة بين الاسطورة والمسرح ١٩٣٣ ـ ١٩٧٠ . احمد شمس الدين الحجاجي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٥ .

اولا : مقالات فخري ابي السعود مع رموزها (..) المستعملة في هوامش البحث :

١ ــ ابو العلاء بين شعراء العربية ، مجلة الهلال ، ع٧ ، السنة ١٩٣٨ (الرقم الرمزي : (١)

٢ ــ اثر الدين في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٧٣ ، السنة ١٩٣٦ (٧)

٣ ــ اثر الفنون في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٧٥ ، السنة ١٩٣٦ (٨)

٤ ــ اثر المجتمع في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٩٩ لسنة ١٩٣٧ (٩)

٥ ــ اثر المرأة في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ٢٠٦ ، السنة ١٩٣٧ (١٠)

٦ ــ الادب العربي والادب الغربي على ذكر رواية خسرو وشيرين ، مجلة الرسالة ، ع ٤١ ، السنة ١٩٣٤ (١٥)

٧ ــ الادب العامي في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٨٤ ، السنة ١٩٣٧ (١٤)

٨ ــ اشكال الادب في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٨٣ . السنة ١٩٣٧ (١٧)

٩ ــ التأثير في الاداب الاخرى في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة . ع ١٨٦ . السنة ١٩٣٧ (٢١)

١٠ ــ الحكمة في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة : ع ٢٠٧ : السنة ١٩٣٧ (٣٠)

١١ ــ الخرافة في الادبين العربي والانكليزي . مجلة الرسالة : ع ١٧٤ : السنة ١٩٣٦ (٣١)

١٢ ــ الخيال في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة : ع ١٦٥ . السنة ١٩٣٦ (٣٢)

١٣ ــ الخيال في الادبين العربي والانكليزي . مجلة الرسالة : ع ٢٠١ : السنة ١٩٣٧ (٣٣)

١٤ ــ الرحلة في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة : ع ١٩٠ : السنة ١٩٣٧ (٣٦)

١٥ ــ الرومانسية والكلاسيكية في الادبين العربي والانكليزي : مجلة الرسالة : ع ١٩٢ . السنة ١٩٣٧ (٣٧)

١٦ ــ شخصيات الادباء في الادبين العربي والانكليزي . مجلة الرسالة : ع ١٧٦ : السنة ١٩٣٦ (٣٩)

١٧ ــ الشعر والنثر في الادبين العربي والانكليزي . مجلة الرسالة . ع ١٩٦ : السنة ١٩٣٧ (٤١)

١٨ ــ الطبيعة في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة : ع ١٧٢ ، السنة ١٩٣٦ (٤٢)

١٩ ــ الطير والحيوان في الادبين العربي والانكليزي : مجلة الرسالة . ع ١٩٤ ، السنة ١٩٣٧ (٤٥)

٢٠ ــ ظواهر متماثلة في تاريخي الأدبين العربي والانكليزي . مجلة الرسالة، ع ٨٠ . السنة ١٩٣٥ (٤٦)

٢١ ــ القصة (نظرات في الأدب الغربي) : مجلة الثقافة ، ع ١٠٦ ، السنة ١٩٤١ (٥٢)

٢٢ ــ القصة في الأدب العربي : مجلة الرسالة ، ع ٥٢ ، السنة ١٩٣٤ (٥٣)

٢٣ ــ القصص في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٩٨ ، السنة ١٩٣٧ (٥٥)

٢٤ ــ المرأة والادب (نظرات في الأدب الغربي) : مجلة الثقافة ، ع ٣ ، السنة ١٩٣٩ (٥٨)

ثانياً : المقالات

١ ــ اثر القصة في تربية الشعب ، محمود تيمور، مجلة المشكوف ع ٣٦١، السنة العاشرة ، القاهرة ١٩٤٤ .

٢ ــ الحكاية الشعبية واثرها في الحكاية الاجنبية ، كاظم سعدالدين ع ٩، السنة الحادية عشرة ، بغداد ١٩٨٠ .

٣ ــ خواطر حول الف ليلة وليلة ، صديق شيبوب ، مجلة الحديث ع ١، السنة ٢٠ ، القاهرة ١٩٤٦ .

المراجع الاجنبية :ــ

1- Adventures in English Literature, New York Harcourt Brace Jononovich, Inc. 1969.